مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـــدد: 02 (2024)، ص: 253-265

فلسفة العدالة عند جون رولز

John Rawls' philosophy of justice

الدكتورة عماري خيرة أستاذة محاضرة قسم الفلسفة

جامعة الجزائر2 Kheira.amari@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/21 تاريخ القبول: 2024/04/21 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص :

تتناول هذه الورقة فلسفة العدالة عند جون رولز باعتباره واحدا من اهم المشتغلين بالفلسفة السياسية المعاصرة . لقد انطلق في اطروحته من نقده للاتجاه النفعي في السياسة و الاخلاق و الذي فرض نفسه بوضوح في المجتمع الليبرالي بالخصوص و كان وراء اغلب الازمات التي عرفتها البشرية في العصر الحديث . واسس بعدها تصوره الخاص للعدالة انطلاقا من اعتبارها قيمة القيم ، كما دعم هذا التصور بمجموعة من العناصر التي من شانها ان تحقق العدالة في المجتمعات الراهنة : كأخلاق السلطة و اخلاق الجماعة و الاخلاق المؤسسة على مبادئ

الكلمات المفتاحية : رولز – العدالة – القيمة- المحتمع- الانصاف- الوضع الأصلي – حجاب الجهل

Summary :

This paper discusses the philosophy of justice according to John Rawls, as he is one of the most important workers in contemporary political philosophy. He started his thesis from his criticism of the utilitarian trend in politics and ethics, which clearly imposed itself in liberal society in particular and was behind most of the crises that humanity has known in the modern era. He then established his own perception of justice based on its consideration of the value of values. He also supported this perception with a set of elements that would achieve justice in current societies: such as the morality of authority, the morality of the group, and morality based on principles.

Keywords: Rawls - justice - value - society - fairness - original position - veil of ignorance

فلسفة العدالة عند جون رولز

المقدمة

كانت العدالة و لا تزال من الأسئلة الكبرى التي اشتغلت عليها الفلسفات القديمة ، فالوسطى ثم الحديثة و المعاصرة ،لما لها من أثر كبير على حياة الافراد و المجتمعات. و يكفي في ذلك الوقوف عند أمهات الكتب في الفلسفة السياسية التي تناولت هذا المفهوم من جمهورية افلاطون الى المدينة الفاضلة للفارابي الى نظريات العقد الاجتماعي وصولا الى الفكر السياسي المعاصر . حيث جاء هذا الأخير لتجاوز تلك الهوة بين نظرية العدالة كما جاءت في النصوص الفلسفية و بين تجسيد هذه العدالة على ارض الواقع .هوة تتسع لدرجة حعلت البعض يرى ان العدالة مجرد شعار طوباوي لا يمكن تحقيقه على ارض الواقع في مقابل هيمنة اخلاق المنفعة . فكان اشتغال الفلسفة المعاصرة على البعد الواقعي الاجرائي الكفيل بحل مشكلات الانسان المعاصر . و في هذا السياق جاءت فلسفة جون رولز John Rawls(1921-20002 برؤية نقدية لمبدا العدالة و بأطروحة اكثر واقعية لهذا المبدأ . باعتبار هذا الفليلسوف واحدا من أبرز الفلاسفة المعاصرين الذين وجهوا أفكارهم نحو المسائل الأخلاقية والسياسية التي افرزها الواقع و استغرق أكثر من عشرين سنة بحث لتجديد الفكر المعاصر في المسائل السياسية الأخلاقية الاقتصادية والاجتماعية، نتج عنها كتابه المعروف بنظرية في العدالة الذي نشر سنة 1971 فماهي المقاربة الفلسفية في تصور رولز للعدالة في ظل التغيرات التي لحقت بالحياة السياسية في العالم عموما و في المجتمع الامريكي بالخصوص ؟

1-العدالة قيمة القيم :

تقوم الفلسفة الأخلاقية لرولز على خلفية اخلاقية ترتبط بالواجب كما تصوره كانط . وتعتبر العدالة بالنسبة إليه " أولى فضائل المؤسسات الاجتماعية، مثل الحقيقة بالنسبة إلى المنظومات الفكرية." فالقوانين فالحقيقة (john, 1997) والمؤسسات، مهما كان مستوى آدائها وتنظيمها، ينبغي أن تلغى إذا كانت غير عادلة والعدالة من أوليات فضائل النشاط الإنساني، لا تسمحان بأي مساومة.

و ليست العدالة مجرد قيمة من بين القيم ، نزنها وننظر فيها بحسب ما يقتضيه الحال، وانما هي الوسيلة التي يتم بها وزن القيم الأخرى وتقدير أهميتها جميعا. وبهذا المعنى، تعتبر العدالة قيمة القيم. وهي المعيار الذي يتم به التوفيق بين القيم المتعارضة، والتسوية بين التصورات المتنافسة حول الخير،

حتى وان لم يكن الحل نهائيا دائما (مايكل، الليبرالية و حدود العدالة ، 2009). إذ لا يوجد هناك تصور للخير يمكن أن يبطل مقتضيات العدالة. فوجب أن يكون لها الأولوية على غيرها من القيم.

فلسفة العدالة عند جون رولز

تقتضي هذه الأولوية فكرة أولوية الحق على الخير. ويبني راولز هذه الفكرة على أساس مبررين: يشير المبرر الأول الى أن بعض الحقوق الفردية هي من الأهمية بما كان ما يحول دون غلبة الخير العام ذاته . أما المبرر الثاني، فيشير إلى أن مبادئ العدالة التي تحدد حقوقنا غير مرهونة في تبريرها بأي تصور أخلاقي أو ديني. (مايكل، الليبرالية و حدود العدالة ، 2009) ويترتب عن ذلك أن المصالح التي تقتضي خرق العدالة، لا قيمة لها.

يعارض راولز التصورات النفعية، وهو يهدف الى أكثر من ذلك. فالعدالة كانصاف عنده لا تعارض النفعية فقط، بل جميع النظريات الغائية. إذ يستمد تصوره من أخلاق الواجب. وما دامت العدالة قيمة القيم عند راولز، فلا يمكنا الاطلاع على نظريته الأخلاقية دون الرجوع إلى نظرية العدالة لديه.

و المتصفح لكتابه نظرية في العدالة سيقف في مقدمته عند كلمتي (مجتمع) و(عدالة اجتماعية) إذ يعرف المجتمع بأنه- جمعية إلى حد ما ذات اكتفاء ذاتي يكون فيها الأشخاص في علاقاتهم المتبادلة مدركين لبعض القواعد التي تسيرهم على أساس أنها واجبات يعمل وفقها الأغلبية منهم.

وبطبيعة الحال فان هذه القواعد تهدف الى تعزيز التعاون بين أعضاء المجتمع لخدمة مصالحهم المشتركة- وبفعل صراع المصالح الذي تعرفه المجتمعات بين أعضائها، باعتبار أن كل فرد يهدف الى أخذ أكبر حصة مقارنة بغيره- تظهر الحاجة الى ضرورة وجود مجموعة من المبادئ تسمح الاختيار الأفضل من بين المنظمات الاجتماعية.، وذلك بغرض التوصل الى اتفاق على التوزيع الصحيح للحصص. و تلك هي مبادئ العدالة الاجتماعية التي تهدف الى توفير الوسيلة التي تحدد الحقوق والواجبات في المؤسسات الأساسية للمجتمع وتحديد " التقسيم المناسب لفوائد وأعباء التعاون الاجتماعي" (john، 1997)

فالعدالة الاجتماعية في تصوره لا ينبغي لها أن ترتكز على السلوكات الفردية، كما تفعل الأخلاق الاجتماعية التقليدية المستوحاة من المسيحية، وانما تقوم على بنية أساسية للمجتمع . و يقصد بذلك المؤسسات المهمة، مثل المؤسسات السياسية والهياكل الاقتصادية الرئيسية. كما تقوم الفكرة الرئيسية لنظرية العدل على تقديم مفهوم العدالة الذي يعمم و يحمل درجة عالية من التجريد لنظرية العقد الاجتماعي. وهي نظرية وضعت أصلا من قبل فلاسفة مثل جون لوك ، و جان جاك روسو . ويشار الى هذا التصور باسم نظرية العدل و الإنصاف.

إنّ مبادئ العدالة التي يدافع عنها راولز يتم اعتمادها من طرف مجتمع عن طريق مداولات يشارك فيها جميع أعضائه انطلاقا من وضعية ابتدائية منصفة. و تهدف الفكرة الفلسفية لجون راولز الى الاجابة على التساؤل التالي:

كيف يمكن أن يوجد، بصفة دائمة، مجتمع عادل ومستقر لمواطنين أحرار ومتساوين، رغم انقسامهم بفعل اختلاف مذاهبهم، سواء كانت أخلاقية، فلسفية أو دينية؟(Marechal, 2003)

من الواضح أن هذه النظرة تتعارض مع النهج الذي تتخذه النفعية، ذلك النهج المتبع من طرف الاقتصاد المهيمن، الذي يتصور أن المجتمع يكون جيد التنظيم عندما يمنح أكبر قدر من امتيازات الرضا لأعضائه. لذلك جعل راولز من النفعية الهدف الرئيسي لانتقاداته. لأنه موقف لا يأخذ بعين الاعتبار كيفية توزيع مقدار الرضا الفردي. بعبارة أخرى، تضخيم المنفعة الجماعية يمكن تحقيقها بفعل العمل على تخفيض منفعة فئة معينة. يهدف راولز الى إقامة نظرية في العدالة تمثل بديلا للنفعية بشكل عام مهما اختلفت تفسيراتها(john, 1997) . وتقتضي العدالة الاجتماعية توزيع الخيرات. فما هي الخيرات التي توزع؟ وكيف يتم توزيعها؟ وأين توزع؟ وما شكل المؤسسات المؤهلة لهذا التوزيع؟

2-العدالة في التوزيع :

تقوم نظرية العدل عند جون رولز أساس تصور للشخص باعتباره فاعل أخلاقي، حر، ومتكافئ مع غيره من الأفراد، أو هو ند لهم. كما أنها تتصور البنية العامة للمجتمع ، على اعتبار أنه منظم، يتم فيه توزيع كل ما هو أساسي من السلع وآفاق الحياة، كالحريات السياسية والحقوق الشخصية، والفرص الاقتصادية والاجتماعية، بكيفية عادلة ومنصفة. فالنموذج الأخلاقي الذي يتصوره راولز، يقوم على أساس العدل كانصاف، والذي يستطيع أن يخلق مجتمع جيد التنظيم. لذلك فان نظرية رولز في العدالة، تبحث في المبادئ التي تستخدم في توزيع الحقوق والواجبات الأساسية، وتحدد توزيع ثمار التعاون الاجتماعي. بما أن المجتمع مكون من أفراد يعيشون ويتفاعلون فيما بينهم، فان ذلك يدفعهم إلى تقسيم وتوزيع الخيرات التي ينتجونها. ويعتبر هذا التوزيع ضروريا، رغم أن المواقف تختلف في كيفية القيام به. الا أنه ينبغي أن يرتكز على أساس وجود مفهوم العدالة الاجتماعية. هذه العدالة التي يرتكز موضوعها الأول ، حسب رولز، على تقدير وتثمين المظاهر التوزيعية للبنية القاعدية للمجتمع.

و هذا الأخير يكون جيد التنظيم، عندما يبلغ درجة كافية من الاكتفاء الذاتي؛ وهو المجتمع الذي تتوافر فيه شروط التعاون المنصف بين المواطنين العقلانيين الذين يعتبرون أنفسهم أحرارا متساوين، لهم

تصور مشترك للعدالة، ويعترفون جميعا بمبادئها الأساسية، ويعلم كل واحد منهم بأن الآخرين يعترفون مثله بتلك المبادئ) اغبال(.s.d , ومن هنا يعتبر المذهب الأخلاقي عند رولز مناقض لمذهب أخلاق المنفعة، وأكبر منافس له. في المقابل نجد أنه يتجه إلى تقليد نظرية العقد الاجتماعي، التي اشتهر بها كل من روسو، ولوك،وهوبز. لكنه في ذات الوقت يقترب أكثر من كانط. ومادام الموقف الأخلاقي عند راولز لا يستقيم الا في

فلسفة العدالة عند جون رولز

اطار مجتمع عادل، ومادام العدل لا يحقق الغاية من وجوده الا اذا كان منصفا، فما المقصود بالعدل كانصاف؟

3- العدل كإنصاف :

ومبادئ العدالة التي يجب أن تخضع لها أنشطة المؤسسات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المنظم بشكل جيد، لا تستقيم الا عن طريق تصور معين للشخص و في ذات السياق اعتمد راولز في بنائه على مبدأ الأمر المطلق الذي وجده عند كانط. فالشخص هو كل كائن يتمتع بحرية الإرادة والاختيار، ويتمتع بالقدرة على التصرف بطريقة عقلانية ومعقولة في الوقت نفسه ؛ ويعتبر جميع الأشخاص متساوين بالنظر إلى هذه الصفات. ووجود الشخص بهذا المعنى هو ما يجعل الأخلاق ممكنة، ذلك أن المبادئ الأخلاقية تقوم على أساس الحرية، ولا تفرض على الناس قهرا. كما لا يمكن الحديث عن الأخلاق ما لم تمنح لجميع الأفراد حرية اختيار بعض المبادئ بطريقة عقلانية ليصنعوا منها القانون الأخلاقي الذي ينظم علاقاتهم ومعاملاتهم في إطار الجماعة التي ينتمون إليها والتي يمكن وصفها بالتالي بأنها جماعة أخلاقية) اغبال(.s.d ,.

واذن فمبادئ الأخلاق والعدالة هي عبارة عن أبنية عقلية يشيدها أشخاص عقلانيون يتمتعون بحرية الإرادة والاستقلال. وعليه فلا وجود لمنظومات أخلاقية قائمة بذاتها مستقلة عن الملكات الذاتية للإنسان. لأن ذلك يتناقض مع حرية الارادة والاختيار. فالمنظومات الأخلاقية لا يمكن أن تكون مستقلة عن تصوراتنا لما ينبغي أن يكون عليه الواقع الإنساني، إنها عبارة عن أبنية ذات صلة وثيقة بالخصائص الجوهرية للأشخاص الذين يشيدونها. وانطلاقا من هذه الفكرة يسعى راولز الى استنباط مبادئ العدالة من افتراضه للوضع الأصلي. فما المقصود بذلك

4-الوضع الأصلي:

ويقترح رولز فكرة الوضع الأصلي للعقد الاجتماعي، الذي يكون فيه الأفراد خلف حجاب الجهل، كقاعدة لوضع مبادئ يبنى على أساسها مجتمع جيد التنظيم، يتحقق فيه العدل كانصاف . والوضعي الأصلي

كما يتصوره راولز هو وضع افتراضي يضم مجموعة من الأفراد اجتمعوا للتداول في مشروع بناء مجتمع عادل؛ يهدف إلى صياغة تصور للعدالة كإنصاف يقوم على مجموعة من المبادئ التي يجب أن تخضع لها البنيات الأساسية للمجتمع. وأما الطريقة المثلى التي تفرض نفسها على الأفراد في هذه الحالة فهي الطريقة البنائية، ذلك لأن المجتمع لا يتوفر على تصور مكتمل للعدالة، ولا على أي تصور للخير متفق عليه (اغبال، بلا تاريخ)؛

ويقوم هذا الوضع الأصلي على افتراض عاملين. يتمثل أحدهما فيما يجهله الأفراد. والثاني فيما يعرفونه. فالأفراد يجهلون كل معلومة مرتبطة بما يجعل الفرد يتميز عن غيره، كجنسه، أو عرقه، أو مكانته في المجتمع،

أو أي صفة تميزه، حتى لا تخضع مبادئ العدل للظروف الاجتماعية المتغيرة. وهنا يأتي دور حجاب الجهل الذي يعد ضامنا لصفة الاجماع، لمبادئ يتم اختيارها في ظل المساواة. و هذا الجهل المنهجي هو ما يجعل من الوضع الأصلي وضع مساواة شبيهة بحالة الطبيعة التي تمثل الإطار المرجعي الافتراضي بالنسبة لنظريات العقد الاجتماعي الكلاسيكية. أما بالنسبة للعامل الثاني، والمتعلق بما يعرفه الأفراد، فانه يتمثل في كل ما يفترض على كل إنسان أن يرغب فيه، مثل: الحقوق، والحريات، والفرص، والقدرات، والاستفادة من الدخل أو الثروة (مايكل، الليبرالية و حدود العدالة ، 2009).

يضع رولز إذن، مجموع المتعاقدين، تحت حجاب مساواة كاملة، وجهل مشترك . وهذا الوضع الأصلي ليس واقعا تاريخيا فعليا وانما هو وضعية افتراضية خالصة حُدِّدَتْ خصائصها بطريقة تفضي إلى تصور معين للعدالة.

وبما أنّ الفرد في الوضع الأصلي خلف حجاب الجهل، لا يعرف من هو، وما يتميز به عن غيره، فإنّه لا يطمح الا الى ماكان مشتركا بينه وبين جميع الأفراد. و هذه الطموحات المشتركة، المتمثلة في الخيرات التي يرغب فيها يسميها راولز بالخيرات الأولية . و معرفة قائمة الخيرات الأولية خلف حجاب الجهل، تُعرف عند راولز بالنظرية الضيقة للخير (voronique, 2005) ووصفها بالضيقة يعود الى كونها لا تتوفر الا على القدر الأدنى من الأشياء التي تكون مفيدة لجميع التصورات الخاصة بالخير، والتي تكون مشتركة بين جميع الأشخاص مهما اختلفت رغباتهم. وهي تهدف الى بلوغ مبادئ منصفة للعدل(francois) .

الفكرة العامة التي دفعت برولز الى الاستعانة بالوضع الأصلي، تتمثل في تحديد إجراء منصف، بحيث يضمن السمة الصحيحة للمبادئ التي سوف يتم اختيارها في هذا الإجراء. بحيث أن شمولية الاختيار، تأتي بفعل أن الأفراد الموضوعين تحت حجاب الجهل، يجهلون ظروفهم الخاصة، والتي لو فكروا وعملوا من أجلها لما كانت مبادئ العدل منصفة ، وعلى هذا الأساس فان رولز يعمل على إدخال تبريرات لمعايير أخلاقية للعدل . وهكذا وبعد أن قام رولز بتوضيح كيف أن عقد اجتماعي جديد، موقع في وضع أصلي، مغطى بحجاب الجهل، يستطيع الوصول إلى إنتاج مبادئ للعدل، التي تحقق الإنصاف في مجتمع حر. يهتم بعدها برفع هذا الحجاب على مجتمع عصري، أين تكون المؤسسات السياسية والاجتماعية الاقتصادية تحت ظل مبادئ العدل.

تنشأ العدالة الاجتماعية وفق تصور رولز، عن طريق اتفاق أصلي بين كل أعضاء المجتمع حول مبادئ العدل.. فالعدل يولد عن طريق قرار مشترك، يوقع اتفاقا أو عقدا، يشبه الى حد كبير العقد الاجتماعي. والعدل الناتج عن هذا الاتفاق يعتبر منصفا. لأن الاتفاق نفسه، ناتج عن وضع أصلي، قائم على أساس المساواة بين الأفراد، و هذا الوضع الأصلي، يماثل الحالة الطبيعية في نظريات العقد الاجتماعي خاصة عند روسو. كما يعتبر "

فلسفة العدالة عند جون رولز

حجاب الجهل " بمثابة الضامن لوضعية المساواة الكاملة، بفعل الاتفاق الناتج عن الوضع الأصلي. وقد لجأ رولز إلى تخيل حالة العقد الاجتماعي، من أجل بناء صورة صارمة لما سوف يكون عليه مجتمع عادل. والذي يسميه مجتمع جيد التنظيم.ان الوضعية الافتراضية للوضع الأصلي ، والتي يضع رولز فيها الأفراد. ينبغي أن تمكنهم من الوصول الى رأي مشترك، أين يتحدد العدل ويتميز بأكثر دقة ممكنة، في شكل المبدأين الذين يتحدث عنهما رولز فيما بعد . ويمكن توضيح نشأة العدل كإنصاف على النحو التالي :

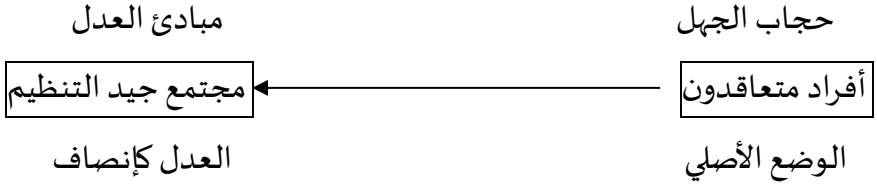

نستخلص من هذه المخطط، التعارض القائم بين الموقف الأخلاقي لنظرية العدل عند رولز، والموقف الأخلاقي للنظرية النفعية (عند بينتام ومل). فهذه الأخيرة تصف المجتمع الجيد التنظيم، بالمجتمع الذي يتحقق فيه أكبر رضا ممكن لمجموع الأفراد. و يتسع هذا المفهوم إلى المجموع الذي تعتبره النفعية حقيقة على مستوى الفرد – أي تعميم الرضا -. فالمجموع، يعتبر مجرد اندماج بسيط للأفراد، حسب النفعيين. إلا أن جون رولز، يرى أن التجمع المشترك، يتجاوز حاصل مجموع الأفراد ممّا يجعل هذه النظرية غير قابلة للتحقيق في المجتمع كله(francois) . كما أن هذا التعارض ليس هو الوحيد بين رولز والفكر النفعي. إذ أن هناك اختلاف متعلق بأولوية الخيرات عند رولز. فمبادئ الحق تحدد في نظريته حدود مجال الرضا . الذي ينبغي أن يكون كاملا لكي يمنح الحق عند اصحاب النظرية النفعية. و يُعدُّ هذا التوضيح لآلية العدل كإنصاف، أساس الأخلاق النابع من نظرية العدل عند رولز . فبعد أن يضع الأفراد في مستوى أدنى من القانون، فانه يمكنهم من وضع مبادئ هذا القانون، وذلك أثناء الاتفاق الأصلي (Accord Originel)، أين يوضع الجميع في وضعية متساوية.

-5 مبادئ العدل:

لتحقيق العدل كانصاف ينبغي مراعاة مطلبين أساسين. يتجلى الأول في توفير أكبر قدر من الحرية ممكنة، بحيث يمكن للفرد الذي يولد بمزايا أن يوسعها ويحصل على أكبر رضا ممكن. أما المطلب الثاني فانه يتعلق بالفرد الذي يولد بدون مزايا مقارنة مع الآخرين. فمن المهم أن حظوظه سوف تُعدَّل، بحيث يمكنه ذلك من الحصول على أكبر رضا ممكن .و بذلك يتم صياغة مبدأين للعدل و المتمثلين فيما يلي :

ا- المبدأ الأول : ينبغي لكل شخص أن يكون له حق مساو لنظام له المجال الأوسع من الحريات الأساسية ، مساوية لكل من كان منسجم في نفس النظام مع الآخرين. فالأفراد يتفقون أثناء إبرام العقد الاجتماعي على أن تقسيم الخيرات الأولية للمجتمع ينبغي أن يتم القيام به بطريقة متساوية. و تتمثل هذهة الخيرات الأولية للمجتمع في الحقوق، الحريات القاعدية أو الأساسية، الحريات الاحترافية، السلطات والامتيازات، العائدات والثروات. بالإضافة إلى القاعدة الاجتماعية لاحترام الذات. هذه الخيرات هي التي يحتاجها المواطنون، من أجل أن يصبحوا مؤهلين، لأن يكونوا أحرارا ومتساوون.

ب-المبدأ الثاني : يجب ان تكون اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية منظمة بشكل يجعلها في صالح الفرد و أن تكون مرتبطة بوضعيات ووظائف مفتوحة للجميع(john, 1997) . يقوم المبدأ الثاني لرولز على التفريق الايجابي، بحيث لا نفضل فردا إلا بهدف إلحاقه بمستوى مساو لغيره من الآخرين إذ يهدف هذا المبدأ من القسم المفضل ، والقسم الذي ليس له هذا التفضيل، الوصول في النهاية إلى قدم المساواة، عن طريق التقارب في الشروط .

6- العدالة عبر مراحل النمو الخلقي :

بعدما استخلص راولز مبادئ العدل، بدأ في البحث عن الفرد والمواطن الذي يجسد هذه المبادئ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق مبادئ أخلاقية تنشأ تدريجيا عبر مراحل متناسبة وعمر الانسان. حيث تجعل الفرد يحس بالعدالة ويعمل على تجسيدها. ذلك أن الإحساس بالعدالة يعتبر أرقى مرتبة من مراتب النمو الأخلاقي. وعليه فان أن السيكولوجية الأخلاقية تتشكل وتنمو في انسجام مع مبدأ العدالة كإنصاف. و لكي يتحقق النمو الخلقي ،يحتاج إلى تنظيم المجتمع بشكل جيد، والاحساس بالعدالة هو الذي يعيد التوازن للمجتمع ويضمن استقراره كلما واجه مخاطر.

يمر الاحساس بالعدالة خلال نموه بثلاث مراحل لها علاقة بمراحل العمر في حدود معينة، من جهة، ومراحل اندماج الفرد في المجتمع، من جهة أخرى؛. و تتمثل هذه المراحل فيما يلي : **أخلاق السلطة ، أخلاق المجموعة و اخيرا أخلاق المبادئ**

ا- أخلاق السلطة و تمثل المرحلة الأولى لتطور النمو الأخلاقي، يسميها راولز بأخلاق السلطة (john، 1997). وهي أخلاق مرحلة الطفولة. تتشكل بفعل الأوامر والنواهي الصادرة عن سلطة الوالدين داخل الأسرة التي تندرج ضمن البنيات الأساسية للمجتمع. في هذه المرحلة، لا يكون الطفل قادرا على لتقدير مدى صلاحية القواعد والأوامر الصادرة عن مرا كز السلطة والقرار، خاصة وأن مداركه العقلية لا زالت في مراحل نموها الأولى، وهو لا يستطيع مقاومة الأوامر والنواهي التي يفرضها عليه والداه. وبما أن الأسرة مؤسسة من مؤسسات

المجتمع المنظم بشكل جيد، ينبغي التسليم بصلاحية القواعد والتوجيهات الأسرية ومعقوليتها. الا أن الطفل بميوله الفطرية لا يدرك الأمور بهذه الكيفية. ذلك أن سلوكه تتحكم فيه رغباته،ولا يملك القدرة على فهم وتقدير نوايا الوالدين من خلال الأوامر والنواهي. وعليه، فلا يملك الطفل ميلا فطريا للامتثال للسلطة. فما هي الطريقة التي بها يتمكن الطفل من الرضا بالسلطة الأبوية، وبالتالي قبول قرارات السلطة السياسية في مرحلة لاحقة من عمره ؟

يحصل ذلك بفضل القانون السيكولوجي الأول، الذي يقوم على أساس الحب المتبادل بين الطفل ووالديه، وما يترتب عنه من نوايا واضحة للعناية به. فحب الآباء لابنهم يظهر جليا في نيتهم الحسنة للاهتمام به، (john، 1997) بفضل مساعدتهم له على تحقيق مصالحه العقلانية الذاتية، ودعمهم لتطوير شعوره باستقلاليته الذاتية، وتنمية شعوره بتحمل المسؤولية. وبفضل هذه السلوكات تتشكل لدى الطفل مشاعر وعواطف جديدة. فعندما يتأكد من حب والديه بفضل العناية به يطمئن على نفسه ليقينه أن أولئك الذين يمثلون السلطة في محيطه لا يحبونه لانضباطه، بل يحبونه لكونه شخصا جديرا بالاحترام، يستمد قيمته من ذاته ، فتزداد ثقته بنفسه، وعن هذا الشعور ينشأ حبه لوالديه، ويرغب في إسعادهما من خلال الإذعان لأوامرهما ونواهيهما. ومن ثمة، تتشكل المشاعر الأخلاقية كنتيجة للقانون السيكولوجي الأول. فإذا كان الطفل يحب والديه، ويضع ثقته فيهما، وحصل أن انساق مع المغريات وخرق بعض القواعد فإنه لابد وأن ينتابه شعور بالذنب (john، 1997) . ويلعب هذا الشعور دور القوة الدافعة للاعتراف بالخطأ. ونتيجة لذلك، فإن الشعور بالذنب هو شعور أخلاقي، ينبثق عن التفاعلات الإيجابية التي يحكمها القانون السيكولوجي الأول. وعليه، فإن أي خرق للقواعد لا يصاحبه شعور بالذنب لهو الدليل القاطع على انعدام مشاعر المحبة والثقة في العلاقات الأسرية. ومن هنا يلزم التمييز بين الشعور بالذنب والخوف من العقاب. فعندما يكون الجو الأسري خاليا من مشاعر المحبة والثقة، يكون الشعور المهيمن على الأطفال هو الخوف من العقاب.

ب- **أخلاق المجموعة** :إذا كانت أخلاق السلطة تتأسس على أساس القواعد و الاوامر الموجهة للسلوك ، فإن أخلاق المجموعة تشمل جملة المعايير الأخلاقية والنماذج المثلى المرتبطة بدور الفرد في مختلف المجموعات التي ينتمي اليها. هذه المعايير والقيم تُطبع في نفوس الأفراد بواسطة مجموعة من الإجراءات والإشارات التي تصدر عن مراكز السلطة والقرار في المنظمات الاجتماعية كالأسرة، التي تعتبر بدورها مجموعة صغيرة (john، 1997). تنشأ أخلاق المجموعة تدريجيا مع مراحل العمر ،ومع التنقل من موقع اجتماعي إلى آخر، أومن دور إلى آخر. فكلما تغير دور الفرد أو موقعه الاجتماعي ، اضطر إلى اكتساب معايير وقيم جديدة، تطرح نفسها في شكل نماذج مثلى لما ينبغي أن يكون عليه صاحب الدور أو الموقع الجديد، بحيث يمكن الحديث عن التلميذ

النموذجي، والأستاذ النموذجي، والزوج النموذجي، الخ. وبما أن الفرد ينتمي في الوقت نفسه إلى عدة مؤسسات و تنظيمات، فانه يكتسب أنواعا عديدة من النماذج المثلى التي تتناسب مع مختلف المواقع والأدوار، ويقوم بالجمع بينها في إطار تآلف واحد.هذا التآلف الذي تمثله أخلاق المجموعة، تمكن الفرد من تجاوز التمركز نحو الذات ، وبالتالي اكتساب القدرة على رؤية الأشياء من منظور الآخرين الذين يحتلون مواقع مختلفة في المجتمع. عندها يكتسب الفرد القدرة على ادراك الروابط التي تجمع بين النماذج المثلى في اطار نظام تعاون واحد (john، 1997). إلاّ أن ذلك يتطلب تنمية القدرة على إدراك نوايا الآخرين ودوافعهم ومشاعرهم ومقاصدهم. وهو الأمر الذي يميز الراشد عن الطفل الذي يعجز عن رؤية الأشياء من منظورات متعددة. واجتماع هذه القدرات المذكورة هي التي ترقى بأفراد المجتمع الى مستوى المواطنين المؤهلين للانخراط في نظم التعاون الاجتماعي. بحيث تظهر مشاعر الصداقة والثقة المتبادلة، وتنمو باستمرار في مناخ سليم ومحفز على العمل. وهذا هو القانون السيكولوجي الثاني. ويفرض هذا القانون نفسه بطريقة لا تختلف عن الطريقة التي يفرضها القانون السيكولوجي الأول؛ فكما أن روابط المحبة تنشأ عن القانون الأول داخل الأسرة خلال المرحلة الأولى (أخلاق السلطة)، كذلك تتشكل روابط الصداقة ومشاعر الثقة في المنظمات والمؤسسات الاجتماعية عن القانون الثاني خلال المرحلة الثانية.

يخضع النمو الخلقي، إذن، لقوانين سيكولوجية أشبه ما تكون بالقوانين الطبيعية، تنشأ عنها المشاعر الأخلاقية، وهي التي تتحكم في نموها وتطورها. وتظهر هذه المشاعر من خلال الاعتراف الصريح بالخطأ بفعل خرق القواعد والمعايير، والرغبة في تصحيح الظلم والضرر الذي لحق بالآخرين من جراء ذلك (john، 1997). وهكذا تطرح الآلية الأخلاقية نفسها كبديل عن أساليب الزجر والعقاب التي تولد مشاعر الخوف والحذر. وغياب المشاعر الأخلاقية في اطار العمل داخل المنظمات الاجتماعية دليل تفكك الروابط الاجتماعية الأساسية، وانعدام مشاعر المحبة والصداقة والثقة التي يقوم عليها نظام المجتمع بوصفه نظام تعاون منصف.

ج- الأخلاق المؤسسة على مبادئ:

إذا كانت أخلاق المجموعة تتمثل في نية الفرد في العمل وفقا للمعايير والمثل العليا المرتبطة بموقعه في المؤسسة الاجتماعية التي يشتغل فيها، فإن ما يميز الشخص الذي بلغ المرحلة الثالثة هو إيمانه العميق بمبادئ العدالة الأكثر سموا وإنصافا. فإذا كان الفرد في مرحلة أخلاق المجموعة يرغب في أن يصير شخصا نموذجيا، حسب دوره وموقعه الاجتماعيين، فإنه يرغب في مرحلة أخلاق المبادئ في أن يكون عادلا. (john، 1997) و يتمثل

فلسفة العدالة عند جون رولز

القانون السيكولوجي لهذه المرحلة فيما يلي: عندما تتشكل مشاعر المحبة والصداقة والثقة المتبادلة بفعل القانونين الأول و الثاني، يظهر الميل إلى الاعتراف بعدالة المؤسسات، و ذلك لا يتحقق ما لم يشعر الفاعلون في هذه المؤسسات بأن جميع الأفراد والمجموعات يستفيدون من مواردها بشكل منصف، وينتج من ذلك إحساس بالعدالة. هذا الاخير سيصبح وسيلة للحفاظ على توازن المجتمع واستقراره. فبدون احساس مشترك بالعدالة لن يكون هناك معنى لروابط الحياة المدنية. يتجلى الاحساس بالعدالة بداية من خلال الاعتراف بالمؤسسات العادلة وقبول سلطتها، اذا كانت منصفة للجميع. ويتجلى أيضا من خلال الرغبة في بناء مؤسسات عادلة، أو اصلاح المؤسسات القائمة لتوسيع مجال تطبيق العدالة . والشعور بالذنب عند الاخلال بمبادئها.

يتبين من خلال مراحل النمو الخلقي الثلاث بأن العدالة تجري في كل مرحلة وفقا لمبدأ التبادل الذي يميز الإنسانية. ففي المرحلة الأولى، تظهر مشاعر المحبة لدى الطفل إن شعر بأنه محبوب، فحب والديه له يعطي في المقابل حبه لهما (john، 1997). وفي المرحلة الثانية عندما يلتحق بمؤسسات اجتماعية أخرى ، أين تتشكل لديه مشاعر الصداقة والثقة والمسؤولية إذا تلقى المعاملة نفسها من أعضاء المجتمع. وعندما ويصبح راشدا في المرحلة الثالثة، يعيش قيم العدالة إن هو أحس بأن المواطنين يتعاملون معه في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وفقا لقواعد الاحترام المتبادل ومبدأ الإنصاف.

والشخص الذي بلغ أرقى درجات النمو الخلقي يتميز بإحساس قوي بالحق والعدالة وقدرة كبيرة على التحكم في الذات وحب للإنسانية جمعاء. وهذه الأخلاق تشمل كل الفضائل المرتبطة بأخلاق السلطة وأخلاق التشارك. فما يميز الشخص في المرحلة الثالثة من النمو الخلقي هو قدرته على إدراك المبدأ المنظم للأخلاق، وهو مبدأ العدالة. وهذا ما يجعله قادرا على ترتيب الفضائل حسب الأولوية في إطار خطة شمولية. من خلالها تصبح الأخلاق عند راولز تهدف الى أن تتجاوز الاختلافات المذهبية في الأخلاق ومحاولة بلوغ الكونية.

الخاتمة

انطلقت مقاربة لجون رولز للعدالة من انتقاده للمذهب النفعي السائد في المجتمع الليبرالي بالخصوص ليؤسس بعدها لقيمة العدالة باعتبارها قيمة القيم ، و التي لا يمكن استبدالها او اقصاؤها مهما كانت الدوافع . فجعل مبدأ التوزيع مقوما أساسيا للعدالة ليقف بعدا عند العدل كإنصاف الذي يفترض الوضعي الأصلي و هو وضع افتراضي يضم مجموعة من الأفراد اجتمعوا للتداول في مشروع بناء مجتمع عادل . اين يعيش هؤلاء خلف حجاب الجهل .

فلسفة العدالة عند جون رولز

كما قدم رولز مبدئين اساسين تقوم عليهما العدالة :الأول مرتبط بمبدأ المساواة و الثاني اطلق عليه إسم التفريق الإيجابي او تنظيم اللامساواة الاجتماعية و السياسية . في الأخير قدم لنا العدالة عبر المراحل الثلاث للنمو الأخلاقي و المتمثلة في اخلاق السلطة و اخلاق االمجموعة و الاخلاق المؤسسة على مبادئ لتجتمع كل هذه العناصر من أجل تحقيق العدالة وفق المقاربة الرولوزية .

Bibliographie

francois, b. (s.d.). *jphn rawls theorie de la justice* . Récupéré sur l: http://constitioliberatis.hautefort.com/files/rawls1.pdfScienePolitique Yves Sure

john, R. (1997). *Theorie de la justice* . paris : edition du seuil.

Marechal, j. p. (2003, janvier). l'ethique economique de john rawls. *l'economie politique* .

voronique, m.-d. (2005). *la justice sociale : le liberalisme egalitaire de john rawls.* paris: aromnd colin .

اغبال, أ. (s.d.). *الليبرالية السياسية و مبادئها الاخلاقية لدى راولز*. Récupéré sur sophia.over-blog.com/articles-blog.html.

مايكل, س. (2009). *الليبرالية و حدود العدالة* .

مايكل, س. (2009). *الليبرالية و حدود العدالة* . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية.